

ت. الإرسال: 28 - 02 - 2026	ت. القبول: 08 - 05 - 2026	ت. النشر: 30 - 06 - 2026
----------------------------	---------------------------	--------------------------

أصول الأمازيغ بين السرديات الكلاسيكية والمعطيات الأنثروبولوجية: دراسة نقدية مقارنة من خلال المصادر العربية

Amazigh Origins: Deconstructing classical narratives through anthropological data and Arabic sources

 بوعروة بكير

جامعة غرداية، الجزائر

bouaroua.bakir@univ-ghardaia.dz

 -بن قايد أعمار

جامعة غرداية، الجزائر

bengaid.amar@univ-ghardaia.dz

 -خواجة عبد العزيز

جامعة غرداية، الجزائر

khoudja.abdelaziz@univ-ghardaia.edu.dz

الملخص :

يتناول هذا المقال الجدل التاريخي والأنثروبولوجي الطويل حول الأصول الإثنية للأمازيغ (البربر)، من خلال فحص النظريات الثلاث الكبرى وتحليلها: السامية (الحميرية والقيسية)، الحامية (الكنعانية والقبطية)، واليافيثية (الهند-أوروبية)، يعتمد المقال منهجا نقديا يفكك الروايات الكلاسيكية الواردة في التراث الإسلامي (عند ابن خلدون...)، موضحا كيف استخدمت "الأنساب" كأدوات أيديولوجية لشرعنة السلطة وتحقيق الاندماج، كما يستعرض المقال الطروحات الغربية التي حاولت تجريد المنطقة من أصالتها، وفي الختام، يخلص البحث إلى ترجيح "النظرية المحلية لأوتوكتونية استنادا إلى أحدث الاكتشافات الأركيولوجية كإنسان جبل إيغود ونتائج علم الجينات ADN واللسانيات المقارنة، مؤكدا أن الهوية الأمازيغية هي نتاج تطور حضاري ذاتي مستمر في شمال إفريقيا، وأن الهجرات الخارجية كانت عناصر انصهار وثرأ لا محوا للأصل.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى مراجعة معمقة للدراسات حول الأصول الإثنية للأمازيغ، والتي اعتمدت على مصادر محدودة، ذلك من أجل إرساء قواعد علمية رصينة موضوعية ومنهجية علمية بحثية دقيقة، ساعيا إلى التدقيق في المصادر كإبن خلدون، وابن خلدون، مع إخضاع مروياتهم للنقد التاريخي لكشف الدوافع الإيديولوجية والسياسية لاختلاق أنساب متناقضة، والسعي إلى دحض الأطروحات الغربية وذلك لفحص خلفيتها المعرفية، والسعي لإظهار المعطيات العلمية الحديثة؛ أركولوجيا وجينيا، والتي أثبتت الأصل المحلي ودحضت سرديات التهجير.

إشكالية البحث: تتمحور الإشكالية أساسا حول التساؤل الهام التالي: عن ماهية الأصول التاريخية والإثنية للأمازيغ على ضوء التناقض الحاصل بين ما ورد في المصادر العربية القديمة مع الحقائق التي أظهرتها المعطيات الأنثروبولوجية والجينية الحديثة في سبيل إثبات الأصل المحلي.

المنهجية المتبعة: اعتمدت المنهجية على مقارنة إبستمولوجية شاملة للمناهج التالية: التاريخي، التحليلي، النقدي، التعليلي. يعالج البحث في مضمونه الفرضيات الكبرى ويقارن بينها؛ فهو يتناول الفرضية السامية والحامية واليافيثية، ويدرس الأصل المحلي الأوتوكتوني.

يصل البحث في النهاية إلى نتائج مهمة جدًا، ومنها:

لقد نسب البربر إلى كل أبناء نوح سام ويافت وحام وإلى أنساب مختلطة بين أبناء من سبق، وهو ما يؤكد الطابع الخيالي الأسطوري والتبريري للوصول لأهداف غير علمية.

كما توصلنا إلى أن شجرات النسب القديمة هي مجرد مرويّات إدماجية وظيفية لخدمة التوازنات والمصالح السياسية طارئة، فالروايات التي ساقها المصادر العربية مثل الطبري والمسعودي، ظلت تكرر أقوالاً لا تجزم صحتها، بل ردت عليها مصادر مشابهة مثل ابن حزم، أو ابن خلدون الذي سرد الكثير منها، إلا أنه نفاهما جميعاً وافترض "خطأ" نسباً كنعانياً حامياً.

إن التنوع الشكلي للأمازيغ هو نتاج طبيعي للتكيف البيئي ولا علاقة له على الانحدار لا من أصول أوروبية ولا مشرقية ولا هندو أوروبية.

يؤكد البحث العلمي على الطابع المحلي الشمال إفريقي وهو ما أكدته أحدث النظريات وذلك بناء على دراسات الجينات وما يتعلق بالحمض النووي ADN، وهو ما أثبتته علم الآثار وأيضاً علم الإنسان، على أنه أصيل المنطقة ومتطور في مجالها الجغرافي. لقد تعاقبت الكثير من الهجرات التاريخية، وهي التي تكاملت مع الوجود المحلي ولم تلغ السكان المحليين، بل على العكس أتممته وانصهرت فيه وزادته ثراء وتنوعاً.

إن الحاصل هو أن الأمازيغ شعب أصيل في نطاقه، استوعب هجرات مختلفة وحافظ على أصالته.

* الكلمات المفتاحية: ابن خلدون، الأنثروبولوجيا، شمال إفريقيا، الهوية.

Abstract:

This article addresses the long historical and anthropological debate about the ethnic origins of the Amazigh (Berbers), by examining the three major theories: the Semitic (Hamitic and Qaisi), the Hamitic (Canaanite and Coptic), and the Japhethite (Indo-European). It adopts a critical approach that analyzes the classical narratives of Islamic heritage, explaining how 'genealogies' were used as ideological tools to legitimize authority and promote integration. It also reviews Western theories that have sought to strip the region of its authenticity. Finally, the research favors the 'local theory' (autochthonous) based on the latest archaeological and genetic data, and comparative linguistics; affirming that Amazigh identity is the product of a continuous, autonomous cultural development in North Africa, and that external migrations were factors of integration and enrichment that did not erase the original identity.

Research objectives: The research aims to conduct a profound review of studies that have been one-sided and superficial regarding the ethnic origins of the Amazigh, and which have relied on limited sources; in order to establish solid scientific foundations characterized by objectivity and rigorous research methodology. It seeks to scrutinize ancient Arabic sources, such as Ibn Hazm and Ibn Khaldun, and to discuss Western theories in order to examine their epistemological background, whilst striving to present modern archaeological and genetic data.

Research question: What are the historical and ethnic origins of the Amazigh and what is novel about them?

Methodology: The approach was based on a comprehensive epistemological synthesis of historical, analytical, critical and explanatory methods.

It discusses and compares the major hypotheses; it addresses the Semitic and Hamitic theories, examines the Jafetic Orientalist theory, and studies the local Autochthonous origin.

The research eventually leads to important outcomes, including: the attribution of the Berbers to all the sons of Noah; Shem, Japheth and Ham and to mixed lineages, which confirms the mythical nature of these theories.

We deduced that the ancient genealogical trees are merely functional, integrative narratives serving to maintain political balances and interests of the moment.

We attempted to demonstrate that the morphological diversity of the Amazigh is a natural product of environmental adaptation.

Scientific research confirms the local 'North African' character, as corroborated by genetic theories and substantiated by archaeology and anthropology.

There have been many successive historical migrations, which integrated with the local population rather than displacing it; indeed, they complemented and merged with it.

The Amazigh are an indigenous people within their own region, absorbed various migrations and preserved their authenticity.

Keywords

Ibn Khaldūn, Anthropology, North Africa, Identity

المؤلف المرسل: بوعروة بكير، bouaroua.bakir@univ-ghardai.edu.dz

مقدمة:

يشهد السياق الفكري والبحثي المعاصر تجاذبات واسعة النطاق حول المسألة الهوياتية، وهي تجاذبات لم تخلُ في كثير من الأحيان من الحدة والتعصب الأيديولوجي، وقد انعكس هذا الواقع على عدد من الدراسات التاريخية التي انحرفت عن جادة التجرد، فتبنت رؤية أحادية الجانب، مما أدى إلى ظهور نتائج علمية ومقاربات تأثرت بالسياقات الظرفية التاريخية، وهو ما يستوجب إعادة إخضاعها لموازين النقد التاريخي الصارم ومن هذا المنطلق، تبرز الحاجة الملحة لاتخاذ الدقة التاريخية والمنهج العلمي الصارم فيصلاً في معالجة هذه القضايا، بعيداً عن الانفعالات الفكرية أو التوجّهات المسبقة.

تتجلى أهمية هذه الدراسة في بحث الأصول التاريخية للأمازيغ من خلال استنطاق المصادر التاريخية الأساسية، الوطنية منها والمحلية، وتسعى الدراسة إلى عرض وتحليل مختلف النظريات والفرضيات التي تناولت هذا الأصل، على اختلاف مشاربها واتجاهاتها، وذلك بغرض مقارنة النصوص وتمحيصها للوصول إلى مقارنة علمية دقيقة تتسم بالشمول والموضوعية.

وعند مراجعة الدراسات السابقة، نجد أنّ طائفة منها غلب عليها طابع الانتقائية؛ حيث اكتفت بتبني طرح واحد دون الالتفات إلى الآراء المعارضة أو البديلة، وهو ما يعدّ خلافاً منهجياً يحصر البحث في زاوية موجهة، ومن هنا، تحاول هذه الدراسة تجاوز تلك القصور عبر اعتماد منهج "تأصيلي تاريخي" يستوعب التعددية في الآراء ويحلّلها بموضوعية.

إنّ الدراسات السابقة كثيرة ومهمة ومتكاملة، نجد منها مثلاً: ما كتبه أ. إلياس الحاج عيسى حول: الأدوار السياسية والمذهبية لقبيلة زناتة، فالمقال يركز على زناتة بفروعها، ولكنّ بحثه يظلّ سجين الرواية التاريخية المهمة لابن خلدون دون نقد بين ومناقشة صارمة كما هو الشأن في مقالنا. الدراسة الأخرى تتمثل في: أصبحت بلاد البربر المغرب العربي وهو للمستشرق غابريال كامبس ليبرر التعريب ورغم أهمية المقال فإنه أتى بأحكام جاهزة يختلف مع مقالنا في أنه إنتاج معرفي صنع المعرفة من خلال النقد العلمي ومقارنة آرائنا بالجينات والأركيولوجيا.

تتمحور الإشكالية الرئيسة للبحث حول الأصول التاريخية للأمازيغ كما جسّدها المصادر العربية المكتوبة. والتي تجرنا إلى طرح التساؤلات الآتية: ما مدى صحة الطروحات التي تربط الأمازيغ بذريرة سام بن نوح، أو حام بن نوح، وهل ثمة صلات تاريخية بيافت؟ ما هي الأسس العلمية للنظريات القائلة بـ "الأصل المزدوج"؟ ما هو السند العلمي والتاريخي الذي تقوم عليه مقارنة 'الأصالة المحلية' كجذر إثني وحضاري لسكان شمال إفريقيا؟.

استند البحث إلى حزمة من المصادر والمراجع النوعية، من أبرزها كتاب "العبر" لـ ابن خلدون، نظراً لتحليله العميق لأنساب البربر ونظرياتهم الأصلية، و"جمهرة أنساب العرب" لـ ابن حزم الذي اعتمد منهجا استقرائيا صارما في تنفيذ الروايات الواهية، و"نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب" لـ القلقشندي، و"تاريخ الرسل والملوك" للطبري الذي أورد الروايات المرتبطة بالحقبة التوراتية والعماليق. كما تم الاعتماد على دراسات أنثروبولوجية ولغوية حديثة، منها أعمال غابرييل كامبس Gabriel Camps التي ركزت على البعد الأركيولوجي، ودراسات رينيه باسي (René Basset) حول الروابط اللغوية، ومن الدراسات النقدية الحديثة، نجد "مجلد تاريخ المغرب" لعبد الله العروبي الذي حلل الخلفيات الأيديولوجية للأنساب، وكتاب "وصف إفريقيا" لليون الإفريقي لتوثيق الأنماط الاجتماعية والقبلية. كما تم الاعتماد على مقالات مهمة لباحثين أجانب وهم: هيلينا دو فليبي De Felipe, H. والباحثة ماي شاتزميلر Shatzmiller, Maya و اللتان قدمتا بحثين قيمين في نقد المصادر المزدوجة للبربر الحميرية، وأيضا للباحث تلماتين Tilmatine M، الذي نقد السردية التراثية للأصل البربري من خلال المصادر العربية

1. المقاربات الأنثروبولوجية والتاريخية لأصل الإنسان الأمازيغي

تتعدد النظريات وتتقاطع الرؤى حول الأصول الإثنية للأمازيغ (البربر)، مشكلةً فضاء بحثيا شاسعا تباينت فيه طروحات المؤرخين العرب والغربيين والمحليين، وقد تراوحت هذه الدراسات بين محاولات التعقيد العلمي المبني على الدلائل الأركيولوجية واللقى الحفرية والتحليلات السلالية (الإثنوغرافيا)، وبين مقاربات خضعت لتوجهات أيديولوجية وسياقات سياسية وجّهت البحث نحو نتائج مسبقة. وفي هذا الصدد، يشير الباحث العقون إلى هذا التشتت في الفرضيات بقوله: "لم يترك مروجو هذا السؤال جهة من العالم إلا وافترضوا أنّ قدماء البربر قد قدموا منها" (العقون، 2020: 121)، وهو ما يؤكده الأنثروبولوجي غابرييل كامبس حين اعتبر أنّ البربر من أكثر الشعوب التي تعرّضت لعمليات وتداخلات ميثولوجية غير منطقية عبر التاريخ في وصف أصولهم وتحديد منشئهم (كامبس، 2010: 57).

ذهب الإدريسي (ت 548هـ) إلى القول بعروبتهم الصريحة، مستندا في ذلك إلى المشابهة السوسولوجية والأنثروبولوجية في نمط العيش البدوي؛ كالسكن في الخيام، والبراعة في الفروسية، والزروع نحو التمرد ورفض الانقياد للسلطة المركزية، مستشهدا بمقاومة قبائل "جراوة" بقيادة الكاهنة، و"بني يفرن" مع أبي قرّة اليفرني (الإدريسي، 1957: 122)، وفي سياق متصل، افترضت روايات أخرى انتماءهم إلى العرب العاربة أو المستعربة، ونسبتهم إلى قبائل شتّى مثل "حمير، غسان، لخم، ومضر"، بينما نقل ابن خلدون عن النسابة علي بن عبد العزيز الجرجاني ترجيحه لنسبتهم إلى "جالوت"، دون الجزم بأصل جالوت نفسه، حيث يقول: "لا أعلم قولاً يؤدّي إلى الصحة إلا قول من قال إنّهم من ولد جالوت، ولم ينسب جالوت مّن هو" (ابن خلدون، 2000، ج 6: 129)، وهنا يظهر تحقّق ابن خلدون المنهجي، حيث ربطهم بشخصية تاريخية معيّنة دون الانزلاق إلى تحديد فرع قبلي دقيق يفتقر للدليل القاطع.

من جانبهما، استعرض الباحثان عبد الله العروبي ومحمد حسن فرضيات تربط الهجرات القديمة بالمنشأ الجغرافي؛ حيث يُفترض أنّ أصحاب البشرة البيضاء قدموا من الشام، بينما قدم أصحاب البشرة السمراء من

اليمن، وبناءً على هذا التقسيم، اعتُبر "البرانس" أقرب للكنعانيين في نمط استقرارهم، و"البتر" أقرب لعرب الشمال في بداوتهم (العروي، 1999: 65-71)، وتفتح هذه الفرضيات الباب واسعاً أمام الدراسات اللغوية المقارنة بين الأمازيغية واللغات السامية والحامية (محمّد، 2005: 22)، في حين تتمسك دراسات أخرى بفرضية الأصل المحلي الخالص (الأوتوكتوني Autochtonie بناءً على معطيات لغوية وأنثروبولوجية (Basset, 1959: 15)).

2. تصنيف النظريات (جدول تحليلي)

يمكن تلخيص أهمّ التوجّهات النظرية حول أنساب الأمازيغ في الجدول التالي:

اتجاه الأصل السامي	اتجاه الأصل الحامي	اتجاه الأصول المختلطة والمزدوجة
النسب النبوي:	النسب الكنعاني:	الأصل الهجين:
من ولد النبي إبراهيم (ع س) عبر يقشان	من ولد كنعان بن حام	أخلاط من كنعان والعماليق.
النسب الجالوتي:	النسب المصري:	التقسيم الإثني:
من نسل جالوت (الذي قتله داود ع س)	من ولد بربر بن كسلاجيم بن مصريين بن حام	البتر قيسيون والبرانس كنعانيون.
النسب العدناني:	النسب الفاريقي:	الأصل الهندو-أوروبي:
من القيسية (بر بن قيس عيلان)،	من ولد فارق بن بيسر (مصريين) بن حام	فرضية الأصل الآري (يافي)
النسب القحطاني:	النسب القبطي:	الأصل المزدوج:
من حمير اليمنية (الهجرات الحميرية)	من ولد قبط بن حام	مزيج بين السامي والهندو-أوروبي

المصدر: بوعروة بكير و بن قايد أعمر

3. التفصيل في فرضيات الأصل السامي (رؤية نقدية)

تعدّ الفرضية السامية من أكثر الأطروحات حضوراً في المدونات التاريخية الكلاسيكية، وقد تشعبت هذه الفرضية إلى ثلاث مسارات رئيسية حاولت ربط الأمازيغ بالهجرات المشرقية القديمة:

- المسار القحطاني (الحميري): ينسب هذا الطرح قبائل مثل صنهاجة وكتامة إلى "حمير بن سبأ" وصولاً إلى قحطان، وتزعم هذه الرواية أن انتقلهم إلى بلاد المغرب ثم عبر حملات عسكرية قادها ملوك اليمن (التبابعة)، وتحديدًا "إفريقش بن قيس"، حيث استقروا في المنطقة وتأثروا ببيئتها حتى "تبرروا" لساناً وطباعاً.

- المسار العدناني (القيسي): يربط هذا التوجّه بعض القبائل الأمازيغية، ولا سيما زناتة، بـ "قيس عيلان" من ولد إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام)، وهي محاولة لإيجاد جذور عدنانية (مضرية) في النسيج الاجتماعي لشمال إفريقيا.

- المسار السامي البائد (العماليق): يفترض هذا المسار أن الأمازيغ هم بقايا "العماليق" (نسل عملاق بن لاوذ بن سام)، الذين غادروا بلاد الشام إثر صراعات قديمة مع بني إسرائيل، متوجّهين غرباً نحو مصر ثم شمال إفريقيا.

تضارب الروايات وتعدّد الأسانيد: من الملاحظ سوسيولوجيا وتاريخيا أنّ الروايات العربية الكلاسيكية حاولت استيعاب البربر ضمن كافة الفروع السامية، وهو ما يوقع المادة الخبرية في تناقضات جليّة، وفي هذا السياق، يستعرض القلقشندي هذا التشتت بقوله: "...وقد اختلف في نسبهم اختلافا كثيرا؛ فذهبت طائفة من النسابين إلى أنّهم من العرب، ثمّ اختلف في ذلك؛ فقليل أوزاع من اليمن، وقيل من غسان وغيرهم تفرّقوا عند سيل العرم... وقيل خلفهم أبرهة ذو المنار أحد تبابعة اليمن... وقيل من ولد لقمان بن حمير... وقيل من لخم وجذام" (القلقشندي، 1982: 118).

التحليل المنهجي للنصوص التاريخية: يمكن تفكيك النصوص السابقة إلى عدّة تأويلات وفرضيات:

- فرضية "الأوزاع" (الأخلاق): تعني أنّ الأمازيغ ليسوا عرقا واحدا بل مزيج من قبائل يمنية وحجازية (غسان، لخم، جذام) هاجرت بعد انهيار سدّ مأرب، وهي الفئة التي يشير إليها التأويل الشعبي للآية الكريمة: ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ (سبأ: 19).

- فرضية التوسّع الإمبراطوري اليمني: التي تربط الوجود الأمازيغي بجيوش "أبرهة ذو المنار" أو بعثات "لقمان بن حمير" التعميرية.

- ثنائية (البتر والبرانس): برزت محاولات للتوفيق بين الأصول عبر تقسيم الأمازيغ إلى جذعين:

(أ): البتر: ونُسبوا إلى "بر بن قيس عيلان" (أصل سامي عدناني).

(ب): البرانس: ونُسبوا إلى "مازيغ بن كنعان" (أصل حامي)، وفقا لما نقله نسابون مثل "هاني بن بكور" و"سابق بن سلمان" (المكناسي، 1964: 15).

الرد النقدي على الفرضية السامية:

رغم الزخم الذي حظيت به هذه الروايات، إلّا أنّ النقد التاريخي الحديث يورد عليها عدّة مآخذ:

- الاضطراب الزمني: إنّ الوجود الأمازيغي في شمال إفريقيا (حضارة وثقافة) يسبق أحداث "سيل العرم" بآلاف السنين، كما تثبت الدراسات الأركيولوجية والأنثروبولوجية.

- التناقض في الشخصيات: تشتت الخبر بين نسبهم لشخصيات متباعدة (أبرهة، لقمان، إفريقش) يوحي بأنّ الرواية أقرب إلى "الأسطورة التبريرية" منها إلى الحقيقة التاريخية.

- البعد الأيديولوجي: يرى ابن خلدون (بنوع من التحفظ) أنّ الرغبة في "الاستعراب" أو إيجاد صلة رحم مع الفاتحين هي التي دفعت بعض نسابة البربر لتبني هذه الأصول لرفع شأن قبائلهم في المنظومة الإسلامية الناشئة.

4. طبيعة الوجود الأمازيغي: بين فرضيات الهجرة الوافدة وأصالة الاستيطان

تتعدّد القراءات التاريخية الكلاسيكية حول كيفية استقرار الأمازيغ في شمال إفريقيا؛ فتتراوح التفسيرات بين "الهجرة الطوعية"، و"البعثات التعميرية"، و"التهجير القسري".

- سياق التهجير القسري (الطرد من الشام وفلسطين)

يربط قطاع واسع من الإخباريين (مثل ابن عبد الحكم، والبكري، والمسعودي) بين الأصول الزناتية وبين الهجرات الشامية الفلسطينية، ويذهب ابن عبد الحكم (ت 214هـ) إلى تحديد مسارات استقرار هذه القبائل، حيث سكنت "زناتة ومغيلة" الجبال، واستوطنت "لواتة" أرض برقة، بينما نزل "الهوارة" في لبدة و"نفوسة" في

صبراته (ابن عبد الحكم، 1963: 25)، إلا أن هذا الطرح يواجه نقداً منهجياً، إذ يشير الباحث إلياس حاج عيسى إلى "محدودية المعارف الجغرافية" في تلك الحقبة، وهو ما تجلّى في إهمال ابن عبد الحكم لبطون صنهاجة ومصمودة، ممّا يضعف شمولية روايته (الحاج عيسى، 2020: 184).

- فرضية "الحاميات العسكرية" والبعثات الحميرية:

في مقابل رواية الطرد، تبرز رواية "النقل والتعمير" التي يتزعمها أنصار الأصل اليمني، وتتلخّص في قيام "إفريقش بن قيس" بنقل قبائل حميرية لتوطئها في إفريقية كحاميات عسكرية، وهي الرواية التي خلّدها الشعر العربي والقصائد الحميرية (الحميري، 2001: 120)، وقد أورد ابن خلدون رواية (نقلها عن كتاب "الإسفنداد") تزعم أن "النعمان بن حمير" بعث أبناءه لتعمير المغرب، فكانوا أصولاً لـ "لمتونة، ومسوفة، وصنهاجة، وهسكورة"

(ابن خلدون، 1981، ج 6: 126)، غير أن ابن خلدون نفسه، ومعه ابن حزم، شكّكا في هذه الروايات واعتبروها تفتقر إلى السند المتّصل وتصطدم بالواقع السلافي.

تفكيك الروايات ومواجهتها بالحقائق التاريخية

عند إخضاع هذه الروايات للنقد العلمي، تبرز عدّة تناقضات جوهرية:

- التضارب في هوية "الطارد": تارة يُنسب الطرد للنبي داود (عليه السلام)، وتارة ليوشع بن نون، وتارة أخرى للأشوريين أو الفرس، هذا التشتت يُضعف الرواية ويجعلها في إطار "المتخيّل الشعبي" الذي يحاول تفسير الوجود البشري بربطه بأحداث دينية أو ملاحم كبرى.

- المفارقة الزمنية والجغرافية: يزعم البعض أن الأشوريين طردوا قبائل "لخم وجذام" نحو المغرب، بينما الثابت تاريخياً أن الأشوريين برزوا بين القرنين (9-7 ق) في بلاد الرافدين، في حين أن هجرات القبائل اليمانية لم تبدأ إلا بعد تصدّع سدّ مأرب بقرون طويلة (القرن 2 أو 3 ميلادي)، كما يؤكّد جواد علي (جواد، 1993، ج 1: 112).

- ثنائية "البتر والبرانس": يرى محمّد الطاهر المنصوري أن تقسيم الأمازيغ إلى "بتر" و"برانس" هو في جوهره تقسيم سوسيولوجي يعكس "نمط العيش واللباس" (البداوة مقابل الاستقرار)، وليس تقسيماً عرقياً (عدنان مقابل قحطان) كما حاولت الأيديولوجيات اللاحقة تصويره (المنصوري، 2005: 112).

- أصالة الساكنة المحليّة (الأوتوكتونية): تتعارض كافة الروايات المشرقية مع الاكتشافات الأركيولوجية الحديثة؛ حيث إنّ اكتشاف بقايا "إنسان جبل إيغود" في المغرب، والذي يعود تاريخه إلى حوالي 350,000 سنة، يقطع بأصالة الوجود البشري في المنطقة واستمراره، كذلك، فإنّ صمت المؤرّخين القدامى مثل هيرودوت عن ذكر أيّ رحلة هجرة مشرقية، ووصفه لليبيين (سكّان المنطقة) كأبناء الأرض المستقرّين فيها، ينسف فرضية الوافد المشرقي (هيرودوت، 2001: 250-320)، ويؤكّد غابرييل كامبس من خلال دراسة النقوش الليبية القديمة استقلال اللغة الأمازيغية بنيوياً عن اللغات السامية (الحميرية أو الفينيقية)، مما يعزّز فرضية الأصل المحلي (كامبس، 1988: 65).

5. فرضية النسب القيسي العدناني (أدلجة الأنساب)

برزت في المدوّنات التاريخية والنسابة اتجاهات قوية تسعى لربط الأمازيغ -ولاسيما قبائل زناتة- بالبيت العربي العدناني (المضري)، وتأتي هذه المحاولات في سياق السعي للتقرّب من "النسب النبوي" الشريف أو الاندماج في العصبية العربية الحاكمة في العصور الإسلامية الأولى.

1. المسارات الرواية للنسب العدناني: تعددت النصوص التي حاولت صياغة شجرة نسب تربط "البتر" بالجذم النزاري، ومن أبرزها:

- رواية "بر بن قيس": يذهب النويري والقلقشندي إلى أنّ البربر هم نسل "بر بن قيس عيلان"، الذي يُزعم أنّه غادر المشرق مغاضباً لأبيه وإخوته، فاستقرّ في المغرب وتناسل بنوه هناك (النويري، ج 24: 146).
- رواية "الحارث بن معد": نقل ابن خلدون عن طائفة من نسابة البربر قولهم إنّهم من ولد "الحارث بن معد بن عدنان" (ابن خلدون، 1988، ج 6: 183).
- رواية "تبرير نزار": أورد ابن قتيبة الدينوري أنّ قوماً زعموا أنّ البربر من ولد نزار بن معد، خرجوا من الشام بسبب "ظلم أصابهم" ثمّ استوطنوا المغرب وتغيّر لسانهم (الدينوري، 1992: 36).
- التحليل النقدي: "حيلة الانقطاع" وشرعنة الحكم: تُظهر القراءة الفاحصة لهذه النصوص استخدام "حيل قصصية" بارعة لتبرير الفجوات التاريخية والمنطقية، ومنها:
- تفسير الانقطاع بالخلاف: استُخدمت فكرة "الغضب" أو "الظلم" أو "المناوشات" كذريعة لتفسير انقطاع خبر هذه الشخصيات عن موطنها الأصلي في المشرق وظهورها المفاجئ في المغرب.
- إعادة صياغة الأسماء: تمّ تحويل اسم الجد الأعلى للبتر "مادغيس" ليصبح لقباً وهو "الأبتر"، وزُعم أنّ أصله "قيس" الذي "بُترت" صِلته بإخوته نتيجة الهجرة، وذلك لإضفاء صبغة عربية على المسعى الأمازيغي الأصيل.

الأبعاد الأيديولوجية والسياسية للنسب:

لم يكن النسب في العصور الوسطى مجرد سرد تاريخي، بل كان أداة سياسية بامتياز (Ideological Tool).

- الاندماج في النظام الإسلامي: يرى هشام جعيط أنّ تبني النسب العربي كان وسيلة لشرعنة التحالفات القبلية والاندماج في البناء السياسي للدولة الإسلامية الناشئة (جعيط، 2004: 85).
 - المنافسة القبلية (زناتة ضدّ صنهاجة): اعتصم البتر (الزناطيون) بالانتساب للقيسية العدنانية لتمييز أنفسهم عن خصومهم من الصنهاجيين (البرانس) الذين تبّنوا النسب الحميري القحطاني، وكان هذا الصراع على النسب يعكس صراعاً موازياً على "الشرعية السياسية" والرغبة في نيل شرف يُضاهي شرف الأدارسة، كما ظهر لاحقاً في أدبيات الدولتين المرينية والزيانية.
 - العصبية والمصالح: يؤكد عبد الله العروي أنّ القبيلة لا تُبنى على وحدة الدم فحسب، بل على "الجوار والحلف والمصالح الاقتصادية"، ومن ثمّ، فإنّ "شجرة النسب" كانت تُستخدم كمبرّر أيديولوجي لتقوية العصبية والتضامن القبلي في مواجهة التحديات (العروي، ج 1: 41-52).
- خلاصة تحليلية لهذا الجزء:

إنّ تمهات الروايات التي تنسب الأمازيغ إلى عدنان تارة وإلى قحطان تارة أخرى، يؤكّد أنّنا بصدد "أنساب سياسية" لا "أنساب سلالية"، فالمجتمعات الأمازيغية، في محاولتها لصياغة هويتها داخل الإطار الإسلامي، استعارت الأدوات المعرفية للعرب (علم الأنساب) لإعادة تموضعها في هرم القوة، وهو ما يفسّر لماذا نجد القبيلة الواحدة تُنسب في المصادر إلى ثلاثة فروع متناقضة.

6. فرضية الأصل الحميري القحطاني (جذور الهجرة اليمانية)

يرتكز هذا المسار على ربط الأصول الأمازيغية باليمن القديم، وتحديدًا بالجذم القحطاني (سام بن نوح)، وتتمحور هذه النظرية حول شخصية "إفريقش بن صيفي" (أو بن قيس)، أحد ملوك التبابعة، الذي يُزعم أنه غزا المغرب ونقل معه قبائل يمنية استوطنت المنطقة.

1. الرواية الإخبارية: الغزو والاستيطان: تعددت المصادر التي تبنت هذا الطرح مع تباين في التفاصيل الجوهرية:

- رواية السبي والدمج: يذكر ابن الكلبي (ت 204هـ) أن إفريقش سبى البربر وأنزلهم إفريقية (الكلبي، 1988، ج 2: 533)، وتثير هذه الرواية إشكالية منهجية؛ فإذا كان قد سباهم من موطنهم الأصلي، فمن هم السكّان الذين كانوا هناك؟ وهل القادمون "عرب" استعجموا أم "بربر" كانوا في الشام؟
- رواية الاختلاط: يميل ابن عبد الحكم (ت 257هـ) إلى فرضية الامتزاج، حيث يرى أن المهاجرين دخلوا من مصر واختلطوا بالسكّان المحليين (ابن عبد الحكم، 1922: 170).
- رواية التسمية والتمكين: في كتابه "روض القرطاس"، يربط أبو زرع الفاسي بين الملك "إفريقش" وتسمية القارة والبربر معاً، ويزعم أن إفريقش حين سمع لغتهم قال: "ما أكثر بربرتكم"، فسمّوا بذلك بربرا (الفاسي، 1983: 64)، وهي الرواية التي عضدها البكري بربطها بمقتل الملك "جرجير" وانتقال القبائل إلى الجبال والرمال (البكري، 1992، ج 2: 637).
- التحليل النقدي والتفكيك اللغوي: تواجه الفرضية الحميرية جملة من الاعتراضات العلمية، خاصة في الجانب الألسني والتاريخي:

- تهاافت التأثيل اللغوي (Etymology): يذهب النقد الحديث إلى أنّ محاولة اشتقاق كلمة بربر من الفعل العربي بربر (أي كثرة الكلام بغير بيان) هي محاولة "تعريب متأخرة" تفتقر للسند التاريخي، فالمصطلح في أصله مشتق من اليونانية (Barbaros - Βάρβαρος) واللاتينية (Barbarus)، لقب أطلقه الإغريق ثمّ الرومان على كلّ من هو خارج حدود حضارتهم (بمن في ذلك الجرمان)، ولا علاقة له باللغة الحميرية (Tacitus, 1876: 85).
- أصل تسمية إفريقية: تشير الدراسات اللغوية والأنثروبولوجية (مثل أعمال غابرييل كامبس (إلى أنّ اسم "إفريقية" مشتق من الجذر المحلي (Afri)، وهي تسمية أطلقت على قبيلة كانت تقطن تونس الحالية، وأضيفت لها اللاحقة اللاتينية (ica) لتعني "أرض الإفري" (Camps, 1980: 11)، (شفيق، 1989: 15).
- التوظيف السياسي للنسب: يظهر بوضوح أنّ تبني "النسب الحميري" كان يخدم طموحات قبائل صنهاجة وكتامة؛ فمن خلال ادعاء هذا النسب الشريف، استطاعوا شرعنة أدوارهم السياسية الكبرى، سواء في الدولة الفاطمية (عبر كتامة) أو في الدولة المرابطية (عبر صنهاجة)، لضمان مكانة موازية للسيادة العربية في المشرق.

خلاصة نقدية لهذا المحور

إنّ الروايات التي ساقها المصادر مثل الطبري والمسعودي ظلّت في إطار "نقل الأقوال" دون الجزم بصحّتها، ممّا يعكس وعياً مبكراً بضعف أسانيدها، ويبدو أنّ "الشيطان الكامن في التفاصيل" (Le nœud du problème) هو الذي كشف لنا أنّ هذه المرويات كانت "أدوات إدماج سوسيو-سياسي" تهدف إلى ردم الفجوة بين الفاتح والمفتوح عبر اختراع أصول مشتركة.

كما تؤكد الباحثة هيلينا (أستاذة محاضرة في قسم فقه اللغة الحديثة- الدراسات العربية و الإسلامية) أن الأنساب العربية ليست تاريخاً بل بناءات أسطورية تعكس رؤية العرب للآخر البربري، وهي ذات طابع إيديولوجي تهدف لإدماج البربر في النظام الإسلامي الجديد (De Flie, 1990 : 379).

7. فرضية الأصل الحامي (المسار الإفريقي-الكنعاني)

تمثل "النسبة الحامية" تياراً مقابلاً للفرضية السامية؛ إذ تجرد الأمازيغ من الأصول العربية المشرقية لتربطهم بـ "حام بن نوح"، وقد تباينت دوافع هذا الطرح بين مرويّات كلاسيكية حاولت تفسير الهجرة عبر الصراع السامي-الحامي، وبين نظريّات استشراقية حديثة حاولت عزل الأمازيغ عن الجوار العربي.

أ. المسارات الروائية للنسب الحامي: تتوزع الروايات الحامية في المصادر العربية على ثلاثة فروع رئيسية:

- النسبة الكنعانية (مازيغ بن كنعان): ذهب ابن خلدون وطائفة من المؤرخين إلى أنّ البربر هم بنو "مازيغ بن كنعان بن حام"، وتربط هذه الرواية خروجهم من الشام بهزيمتهم أمام بني إسرائيل، غير أنّ النقد الحديث يشير إلى أنّ إلحاق الكنعانيين بالنسل الحامي في "جدول الأنساب التوراتي" كان له أغراض تحقيرية نابعة من الصراعات القديمة في فلسطين، وهو ما تسرّب إلى المدونات الإسلامية لاحقاً.
- النسبة القبطية (بنو قبط بن حام): ينقل ابن عبد البر والقلقشندي أنّ البربر فرع من "القبط"، استوطنوا مصر أوّلاً ثمّ نزحوا غرباً من برقة إلى المحيط الأطلسي (ابن عبد البر، 1985: 21)، ومن المثير للاهتمام ما نقله الطبري والإدريسي عن الخليفة عمر بن عبد العزيز حين فنّد ادعاء قبيلة "كتامة" لنسبها الحميري، مؤكّداً أصلهم الحامي بقوله: "كذبوا إنّما هم من ولد قبط بن حام" (الإدريسي، 1409، ج1: 265)، ويعكس هذا النصّ صراعاً قديماً بين "شرف النسب السامي" وبين "الواقع الإثني الحامي" في نظر السلطة الأموية.
- النسبة المصرية (بنو فاروق بن بيسر): ينفرد اليعقوبي بطرح مغاير، حيث ينسب (الأمازيغ) إلى "فارق بن مصريم (بيسر) بن حام"، زاعماً أنّهم خرجوا من مصر بعد استيلاء إخوتهم عليها، فانتشروا في المغرب (اليعقوبي، 1965: 190)، ويلاحظ هنا أنّ اليعقوبي لم يعتمد التقسيم التقليدي (بتر وبرانس)، بل جعلهم كتلة إثنية واحدة.

ب. المدرسة الحامية في الاستشراق الحديث:

في العصر الحديث، تبوّأ اللغوي الألماني كارل ماين هوف (Meinhof, 1912) نظرية "اللغات الحامية"، محاولاً إيجاد رابط سلالي ولغوي يجمع بين الأمازيغ، والمصريين القدماء، والأحباش، وتلتقي هذه الرؤية مع طروحات بعض الباحثين المعاصرين (مثل أحمد بوكوس) الذين يؤكّدون على استقلالية المكوّن الأمازيغي عن الأصول السامية، معتبرين أنّ رحلة الأمازيغ كانت هجرة مباشرة من الجزيرة العربية في عصور سحيقة تلت العصر الجليدي، قبل تشكّل الهويات القومية المعروفة.

القراءة النقدية للفرضية الحامية: تُظهر القراءة التحليلية لهذه النصوص جملة من الاستنتاجات:

- تناقض الهوية الإثنية: التخبّط بين النسبة لـ "كنعان" أو "قبط" أو "كسلوحييم" يعكس محاولة الإخباريين الملاءمة بين الجغرافيا (الجوار المصري) وبين النصوص الدينية (الرواية التوراتية).

- النسب كأداة سياسية: إن تكذيب الخليفة عمر بن عبد العزيز لنسب كتامة الحميري يوضّح كيف كان "النسب السامي" امتيازاً يُمنح أو يُسحب لتحقيق توازنات سياسية، فالانتساب لسام كان يعني "الشرف والعروبة"، بينما الانتساب لحام كان يضع القبائل في مرتبة "الموالي" أو "الرعايا الجدد".
الخلاصة المختلطة: كما أورد ابن عبد البر في نهاية بحثه أنّ الرأي الأرجح أكاديمياً هو أنّ "البربر أخلاط من أمم شتى" (ابن عبد البر، 1985: 47)، وهو اعتراف مبكّر بالتعددية السلالية التي شكّلت شمال إفريقيا عبر آلاف السنين، بعيداً عن أسطورة الجدّ الواحد.

8. فرضية الأصل اليافثي (الأطروحات الهند-أوروبية والنزعة العرقية)

يمثّل الربط بين الأمازيغ و"ياث بن نوح" أحد المسارات التي حاولت عزو الأصول الأمازيغية إلى الفضاء الأوراسي (الهند-أوروبي)، وقد تراوحت هذه التفسيرات بين مرويّات تراثية توفيقية، ودراسات استشرافية حديثة صبغت بصبغة أيديولوجية خلال القرن التاسع عشر.

أ. مسارات "الأسطورة اليافثية" في التراث والحداثة

- الرواية الميثولوجية: زعمت بعض المصادر التراثية أنّ البربر قدّموا من نواحي "الكنج" بالهند، أو أنّهم نسل "مادي بن يافث" (الميديين)، أو "ماشج بن يافث" القادم من شبه الجزيرة الأيبيرية، واستندت هذه المزاعم إلى مبررات واهية مثل "شقرة الشعر" أو التشابه في بعض المنشآت الهندسية (المسلّات والدوالم) الممتدة من أوروبا إلى شمال إفريقيا. (Camps, 1980: 27)

- النظريات الخارجية (Exogenous Theories): ظهرت في القرن التاسع عشر مدرسة أوروبية حاولت ربط الأمازيغ بالعرق الآري (الهند-أوروبي)، مستخدمةً معايير الأنثروبولوجيا الفيزيائية مثل قياس الجماجم وشكل الهيكل العظمي، وكان الهدف الضمني لهذه الدراسات هو شرعنة الوجود الاستعماري عبر تصوير الأمازيغ كـ "أوروبيين ضائعين" أو امتداد للعرق المتفوق، وعزلهم عن محيطهم الإفريقي والآسيوي.

ب. نقد فرضية "الأصل المزدوج" (السامي-الأوروبي):

حاولت بعض الدراسات التوفيقية طرح فكرة "الأصل المزدوج"؛ أي أنّ الأمازيغ مزيج من سلالات هند-أوروبية وسامية، إلّا أنّ هذا الطرح يواجه اعتراضات علمية حاسمة:

- المعطى اللساني: أثبت اللغوي جوزيف غرينبرغ (Greenberg, 1963) أنّ اللغة الأمازيغية تنتمي بوضوح إلى العائلة "الأفرو-آسيوية" (الأفروسية)، ولا توجد أية روابط بنيوية تجمعها باللغات الهند-أوروبية (السلتية أو الجرمانية)، ممّا ينسف السند اللغوي لهذه الفرضية.

- ترى الدكتورة Maya Shatzmiller (أستاذة بجامعة Western University بكندا) أن روايات تنسب إلى قسمين كبيرين هم حميريون "يمنيين" وينسبون أيضا إلى القسم الكنعاني الشامي، وهو تداخل ظاهر بين الأسطورة والتاريخ، ولا يمكن نسبتهم للطرفين معا في نفس الوقت. (Shatzmiller, 1983: 73-79)
- إن نسبة الأمازيغ إلى حمير أو كنعان في المصادر العربية، ليست بناء تاريخيا ولكنه تفسيري أنثروبولوجي أنسابي، ولا دليل لغوي ولا أثري لها، هدفه إدماج الشعوب غير العربية دخل منظومة النسب العربي الإسلامي (Tilmatine, 2007, p3)
- المعطى الأركيولوجي والجيني: تتجاهل هذه النظريات الوجود المستمر للإنسان المحلي في شمال إفريقيا، مثل "إنسان مشتي العربي" و"إنسان تغنيف"، إن اكتشافات "جبل إيغود" (Hublin et al, 2017) قطعت الشك باليقين حول أصالة الجنس البشري في المنطقة وتطوره الذاتي عبر آلاف السنين، وهو ما تؤكد الدراسات الجينية الحديثة (ADN) التي أظهرت تميز البصمة الوراثية لسكان شمال إفريقيا مع وجود تدفقات جينية خارجية محدودة لم تغير من جوهر المكون المحلي.

خلاصة واستنتاجات

بعد استعراض وتحليل مختلف النظريات (السامية، الحامية، واليافثية)، يمكن استخلاص النتائج التالية:

إن معظم الروايات التي تربط الأمازيغ بأبناء نوح (سام، حام، يافث) أو بالعمالق والكنعانيين، هي "مرويات إدماجية" نشأت في سياقات دينية وسياسية معينة تهدف إلى صهر الشعوب المفتوحة في المنظومة الثقافية والسياسية للإمبراطوريات الناشئة.

نرى أنه يوجد تهاافت المعايير الفيزيائية. فالاعتماد على "اللون" أو "شكل الجمجمة" لإثبات الأصول هو منهج تجاوزه العلم الحديث؛ فالتنوع المورفولوجي للأمازيغ هو نتاج طبيعي للمناخ والبيئة والتفاعل البشري الممتد، وليس دليلا على هجرة جماعية من عرق أجنبي معين.

تظل فرضية "الأصالة المحلية (Autochthony)" هي الأقوى علمياً، مدعومة باللقى الأثرية والتحليلات الجينية واللسانية، أما الهجرات المشرقية أو الأوروبية، فكانت تاريخياً "هجرات اندماج" لم تلغ الوجود الأصلي بل تفاعلت معه.

ونصل إلى نتيجة نهائية أن العلم والدقة التاريخية هما الفيصل في فك الاشتباك الهوياتي؛ فالأمازيغ شعب أصيل في جغرافيته، استوعب عبر العصور تأثيرات شتى دون أن يفقد هويته البنيوية، وما الروايات المتضاربة في كتب النسابين إلا انعكاس لصراعات "الشرعية" في عصور خلت.

9. فرضية الأصل المحلي (الأوتوكتونية) والحقيقة التاريخية

تجمع المعطيات التاريخية القديمة واللقى الأركيولوجية الحديثة على أن أرض شمال إفريقيا لم تكن يوماً فضاء جغرافياً شاغراً، بل كانت موطناً لسكان أصيلة تطورت حضارياً ولغويًا بمعزل عن فرضيات "التهجير المشرقي" القسري.

أ. الوجود الأمازيغي في المصادر الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية):

على نقيض المرويات العربية المتأخرة، فإن المصادر اليونانية والرومانية التي عاصرت السكّان القدامى لم تشر قطّ إلى هجرات من الشام أو اليمن:

- شهادة هيرودوت (القرن 5 ق م): تحدّث "أبو التاريخ" عن "الليبيين (Λιβύοι)" بوصفهم السكّان المستقرّين، ولم يذكر أية رواية تتعلّق بقدمهم من الخارج، ممّا يعزز فرضية الأصالة المحليّة.
- الجغرافيا القديمة: يشير سترابون (ق 1 قم - 2 م) بوضوح إلى قبائل "الجيتول" و"النوميد" و"المور" بوصفهم عناصر بشرية أصيلة في المنطقة قبل أيّ تفاعل مع القوى الخارجية.
- المصطلحات وتطورها: استخدمت المصادر الرومانية (مثل بليسيدوس ونيبوس) تسميات إثنية وجغرافية صريحة مثل (الليبي والموري والمازيس) دون أيّ دلالات قدحية، أمّا مصطلح (Barbaros) الإغريقي، فكان توصيفا ثقافيا عاما يُطلق على "الآخر" الذي لا يتحدّث اليونانية، ولم تكن له صلة بالأصل العرقي أو اللغوي اليمني كما حاولت المصادر العربية "تأثيله" (تأصيله) لاحقا (قزال، ج1: 277).

ب. نقد الخطاب العربي والتوراتي (القرن 9-10 م):

- في المقابل، تبنت المصادر العربية المبكّرة لغة اتسمت بالانتقاص أحيانا أو بمحاولة الاحتواء الهوياتي:
- النزعة الدمجية: حاولت الروايات التي ظهرت بين القرنين التاسع والعاشر ميلادي ربط الأمازيغ بالموروث التوراتي (أبناء نوح) أو بالعرب البائدين، وهي مرويات تفتقر إلى السند التاريخي أو الأثري، ويسودها طابع "القصص الخرافي" مثل الشعر المنسوب لإفريقش (ابن منظور، لسان العرب).
 - دوافع الانتساب العربي: يفسّر تبني النخب الأمازيغية (كالحكام والمفكرين) لهذه الأنساب العربية -رغم الوعيد الديني للانتساب لغير الأب- بالرغبة في اكتساب "شرعية سياسية ودينية" داخل المنظومة الإسلامية، وبلغ هذا الأمر ذروته بادعاء "المهدي بن تومرت" (مؤسس الدولة الموحدية) النسب العلوي الفاطمي لتثبيت سلطته الروحية والسياسية.

3، التوظيف الأيديولوجي في الفترة الاستعمارية: عمد الخطاب الاستعماري الغربي إلى إحياء فكرة "الكلّ وافدون" لتبرير الاستيطان؛ فإذا كان الجميع (بمن فيهم الأمازيغ) قد قديموا من الخارج، فلا حقّ تاريخيا لأحد في الأرض، وقد سعى هذا التوجّه إلى تجريد الساكنة المحليّة من إنجازاتها التاريخية عبر نسبة كلّ الآثار القديمة لروما حصراً (العقون، 2008: 15).

4. الانقلاب المعرفي: الأنثروبولوجيا وعلم الجينات (ADN) أدّت الاكتشافات الحديثة في علم الأنثروبولوجيا الفيزيائية والوراثة الجينية إلى تهاافت النظريات القديمة المبنيّة على قياس الجماجم أو الأساطير التوراتية:

- الأصالة الجينية: أثبتت دراسات الحامض النووي (ADN) تميّز البصمة الوراثية لسكّان شمال إفريقيا واستمراريتها منذ العصر الحجري، مؤكّدة أنّ الإنسان الأمازيغي هو نتاج تراكم حضاري وبيولوجي محليّ (Henn et al, 2012: 4).

• اللقى الأثرية: أكّد غابرييل كامبس وغيره أنّ التطوّر السلافي في المنطقة كان ذاتيا، وأنّ الهجرات الخارجية كانت محدودة التأثير وذابت في المكوّن الأصلي الغالب (كامبس، 2001: 52).

عاشرا: المقاربة النقدية عند المؤرخين المسلمين (ابن خلدون وابن حزم)

تمثل كتابات ابن خلدون وابن حزم الانعطاف الأهم في دراسة أنساب الأمازيغ، حيث انتقلا من مجرد "النقل والإخبار" إلى "النقد والتمحيص" بناء على معايير المنطق التاريخي، والجغرافيا البشرية، والواقع اللساني.

1. المنهج النقدي عند ابن خلدون: يُعدّ ابن خلدون أول من وضع "قواعد الفحص" للروايات التاريخية، وقد فنّد الأصول المشرقية للأمازيغ بناءً على عدّة مرتكزات:

- نقد البعد الزمني والكمي: يرفض ابن خلدون نسبة الأمازيغ إلى "يقشان بن إبراهيم" (عليه السلام) أو إلى "العماليق"، معتبرا أنّ الفاصل الزمني بين النبي داود (قاتل جالوت) وبين إبراهيم لا يتجاوز عشرة آباء، وهو زمن غير كافٍ لتشعب أمة عظيمة وعوالم ملأت جانبا كبيرا من الأرض.
- استحالة الهجرة الجماعية: يصف القول بأنّ الأمازيغ نُقلوا من الشام بأنّه "يكاد يكون من أحاديث خرافة"، مؤكّدا أنّ شعوباً بهذه الكثرة لا يمكن أن تنحدر من قطر محصور (فلسطين)، بل هم أمة مستقرّة بشعارها وأقاليمها منذ أحقاب متطاولة تسبق الإسلام بمدد بعيدة.
- تفنيد المزاعم الحميرية والقيسية: استنادا إلى آراء ابن حزم، نفى ابن خلدون أن يكون لقيس بن عيلان ابنٌ يسمى "بر"، أو أن يكون لملوك اليمن (حمير) أي طريق للوصول إلى بلاد المغرب إلّا في "أكاذيب مؤرخي اليمن" (ابن خلدون، 1981، ج 6، 112-127).

2. تصنيف الأمازيغ وتوزيعهم الجغرافي عند ابن خلدون: رغم نقده للأصول العربية، تبّى ابن خلدون تقسيما إثنوغرافيا وسوسولوجيا للأمازيغ، حيث أرجعهم إلى جذمين عظيمين:

- البرانس: ونسبهم إلى "مازيغ بن كنعان"، وهم في الغالب القبائل المستقرّة (أهل المدر)، واشتق اسمهم من "البرنس" (لباس صوفي طويل) يميّزهم.
- البتر: ونسبهم إلى "مادغيس الأبتر"، وهم في الغالب القبائل الرحالة (أهل الوبر)، واشتق اسمهم من اللباس القصير (المبتور).

3. المنهج الاستقرائي الصارم عند ابن حزم الأندلسي: يُعتبر ابن حزم (ت 456هـ) من أشدّ النسابة صرامة في رفض "القياس" والاعتماد على "الاستقراء اليقيني"، وتتلخّص رؤيته في الآتي:

- كذب الأصول اليمنية: فيصرّح ابن حزم في الجمهرة بأنّ ادعاء الطوائف البربرية للنسب الحميري أو اللخمي هو "كذب لا شكّ فيه"، معتبرا أنّ حمير ولخم لم يطوّوا أرض المغرب إلّا في ظلّ الفتوحات الإسلامية (ابن حزم، 1982: 462).

- دوافع التلفيق: يرى ابن حزم أنّ هذه الادعاءات كانت طلباً للنباهة، وتقرباً من الدولة العربية الحاكمة، ورغبة في نيل الشرف الذي تمنحه العصبية العربية المنتصرة.
- تفكيك شجرة "البتر": حلّل ابن حزم تشعّبات قبيلة نفوسة (من نسل زحيك بن مادغيس الأبتر)، موضّحا كيف تفرّعت إلى بطون مثل (بني زمور، بني مكسور، لواتة، ونفزاوة)، مؤكّدا على خصوصية هذه الأنساب بعيدا عن المزاعم الخارجية.

الحصيلة النقدية: "بين الحقيقة التاريخية والأدوات الأيديولوجية"

يتضح من نقد ابن خلدون وابن حزم أنّ "علم الأنساب" في تلك الفترة كان صراعين حقائق التاريخ وأوهام السياسة:

- استثناء صنهاجة وكتامة: يُلاحظ أنّ ابن خلدون، رغم صرامته، استثنى صنهاجة وكتامة من قاعدة "الأصل البربري" الصرف، مسaire للمشهور عند نسبة العرب بأنهم يمانيون، وهو استثناء يبدو أنّه خضع للواقع السياسي (الدولة الفاطمية والمرابطية) أكثر من خضوعه للواقع التاريخي.
- أصالة "العجمة": استدللّ ابن خلدون بـ "العجمة" (اللغة غير العربية) كدليل قاطع على البعد الإثني للآمازيغ عن العرب، وهو استدلال لغوي استبق به الأنثروبولوجيا الحديثة.
- تهافت "جالوت": اتفق العلمان على أنّ قصة "جالوت" والعماليق هي قصّة "مهاجرة" أسقطت على الواقع المحلي لتفسير الحروب القديمة، ولا تستند إلى واقع ديموغرافي منطقي.

خاتمة

يستبين لنا من خلال مقارنة النصوص التاريخية وتمحيصها بمنطق النقد "الخلدوني" والمعطيات الأنثروبولوجية الحديثة، أنّ إشكالية "أصل الآمازيغ" لم تكن مجرد بحث في الأنساب، بل كانت انعكاسا لصراعات القوة والشرعية والاندماج الثقافي عبر العصور، ويمكن تلخيص الاستنتاجات النهائية في المحاور الآتية:

- تهافت النظرية الوافدة: إنّ كافة الروايات التي حاولت ربط الآمازيغ بموجات هجرة "قسرية" (طرد العماليق) أو "عسكرية" (جيوش إفريقش والتبابعة) تفتقر إلى السند الأركيولوجي والمنطق الديموغرافي، فمن غير المعقول تاريخيا أن تنحدر أمة ملأت أرجاء القارة من قطر جغرافي محصور في زمن قياسي، وهو ما أكّده النقد الصارم لابن خلدون وابن حزم.
- المركزية المحلية (الأوتوكتونية): تثبت اللقى الأثرية (مثل إنسان جبل إيغود وتغنيف) والدراسات الجينية الحديثة (ADN) أنّ الإنسان في شمال إفريقيا ضارب في القدم منذ العصور الحجرية، والهوية الآمازيغية هي نتاج "تطور محلي مستمر" وليست نتاج "إحلال عرقي" خارجي، أمّا الهجرات المشرقية أو الأوروبية، فكانت تدفّقات بشرية محدودة انصهرت في المكوّن الأصلي الغالب ولم تُلغ وجوده.
- وظيفية الأنساب السياسية: إنّ إصرار بعض القبائل (مثل زناتة أو صنهاجة) على تبني أنساب سامية (عدنانية أو قحطانية) كان أداة أيديولوجية واعية للاندماج في المنظومة الإسلامية ونيل شرف القرب من "آل البيت" أو "العصبية العربية" الحاكمة، لضمان الشرعية السياسية في مواجهة الخصوم.
- استقلالية اللغة والهوية: يظلّ اللسان الآمازيغي بتصنيفه "الأفروسي" المستقل، وخطّ "تيفيناغ" العريق، شاهدين على أصالة ثقافية لم تستطع محاولات "التعريب القسري للأنساب" طمس معالمها البنيوية.
- إن الآمازيغ لم يكونوا "جذاذ أرض" كما وصفهم بعض المدوّنات المتحيّزة، بل هم "أبناء الأرض" (أوتوكتون) الذين استوعبوا الحضارات الفينيقية، والرومانية، والعربية الإسلامية، وصهروها في بوتقة هويّتهم الخاصة،

إنّ العلم اليوم، بتحرّره من قيود الرواية التوراتية والإسقاطات الاستعمارية، يعيد الاعتبار لهذا المكوّن كحلقة وصل حضارية أصيلة، معتبراً أنّ قوة الانتماء تكمن في "الأرض والتاريخ المشترك" لا في "أوهام الدم" المفقود في ثنايا الأساطير.

البيبلوغرافيا

باللغة العربية

المصادر:

1. ابن أبي زرع الفاسي (1972)، لأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط.
2. الإدريسي، الشريف (2002)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية)، تح: هنري الوزان الفاسي، الحسن بن محمد (ليون الإفريقي)، (1983)، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2.
3. ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ)، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، (د.س.).
4. ابن خلدون، عبد الرحمن (1981)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، دار الفكر، بيروت.
5. ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الدار البيضاء، 1982.
6. الطبري، محمد بن جرير (1387)، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط2.
7. ابن عبد البر الأندلسي (1985)، الإنباه على قبائل الرواة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت.
8. ابن عبد البر الأندلسي، القصد والأهم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
9. ابن عبد الحكم (1963)، فتوح مصر والمغرب، تح: شارل توريت، ليدن.
10. ابن قتيبة الدينوري (1992)، المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط6.
11. ابن الكلبي (1988)، نسب معد واليمن، تح: ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ط1.
12. المقرئ التلمساني، شهاب الدين (1968)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
13. النويري، شهاب الدين، (2002) نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، بريس، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية، الجزائر.

-الدراسات (كتب ومقالات)

1. جعيط، هشام، (2004)، تأسيس الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، ط2.
2. الحاج عيسى، إيلياس، ع:1، مج:3، يناير (2020) "زنانة المغرب الأوسط: القبيلة والمجال"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية.
3. حسن، محمد، (2005)، القبائل والمجتمع: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط، دار المدار الإسلامي، بيروت.
4. حسن، محمد (1986)، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع للنشر، تونس.

5. العروي، عبد الله (1999)، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت.
6. العكاك، عثمان، البربر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2. 2003.
7. العقون، العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، منشورات إدليس، الجزائر، 2020.
8. فارس، محمد خير، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب (1912-1939)، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، (د.س.).
9. كامبس، غابرييل، البربر: ذاكرة وهوية، ترجمة: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010.
10. كامبس، غابرييل، البربر: ذاكرة وهوية، ترجمة: عبد اللطيف الفيلاي، الشركة المغربية للنashرين المتحدين، الرباط، 1988.
11. المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط4، 1984.
12. المنصوري، محمد الطاهر، القاموس التاريخي للمغرب العربي، دار الرواد، طرابلس، 2005.
13. الملي، مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.س.).

-المراجع الأجنبية

1. Basset, R. (1959). Articles de dialectologie berbère, préface de G.S. Colin, (Collection linguistique de la Société de linguistique de, LVII). Paris: Librairie C. Klincksieck.
2. Cavalli-Sforza, L. L., Menozzi, P, & Piazza, A. (1994). The History and Geography of Human Genes. USA, Princeton University Press.
3. De Felipe, H. (1963). Leyendas árabes sobre el origen de los bereberes. Al-Qantara, 11(2). https://www.researchgate.net/publication/391970236_Leyendas_arabes_sobre_el_origen_de_los_bereberes
4. Greenberg, J. H. (1963). The Languages of Africa. Indiana University Press, Bloomington.
5. Hublin, J. J., et al. (2017). "New fossils from Jebel Irhoud, Morocco and the pan-African origin of Homo sapiens". Nature, 546(7657), 289-292. <https://www.nature.com/articles/nature22336>.
6. Shatzmiller, M. (1983). Une source méconnue de l'histoire des Berbères: Le *Kitāb al-Ansāb* d'Abī Hayyān. *Arabica*, 30(1), 73–79. https://www.persee.fr/doc/remmm_0035-1474_1983_num_35_1_1986
7. Tacitus, (1876, The Annals, Book II & III, Translated by Alfred John Church, Macmillan,).
8. Tauxier, L. (1867). "Ethnographie de l'Afrique septentrionale au temps de Mahomet". Revue Africaine. https://cinumedpub.mmsh.fr/RevueAfricaine/Pdf/1867_065_000.pdf
9. Tilmatine, M. (2007), Du berbère à l'amazigh : de l'objet au sujet historique. Revista de Estudios Amaziges. <https://revistas.uca.es/index.php/aam/article/view/7563>.